وسبب المواصلة بينهما وجود الاتفاق فصارت المواصلة نتيجة التجانس والتسبب فيه وجود الاتفاق منهما لان عدم الاتفاق منفر **وقال الشاعر**

الناس ان وافقتهم عذبوا او لا فان جناهم مر
كم من رياض لا انيس بها تركت لان طريقها وعر

ثم يحدث عن المواصلة رتبة ثالثة وهي المؤانسة وسببها الانبساط ثم يحدث عن المؤانسة رتبة رابعة وهي المصافاة وسببها خلوص النية ثم يحدث عن المصافاة رتبة خامسة وهي المودة وسببها الثقة وهذه الرتبة هي ادنى الكمال في احوال الاخاء وما قبلها اسباب تقود اليها فان اقترن بها المعاضدة وهي الصداقة ثم يحدث عن المودة رتبة سادسة وهي المحبة وسببها الاستحسان فان كان ذلك الاستحسان لفضايل النفس حدثت منه رتبة سابعة وهي الاعظام وان كان الاستحسان للصورة والحركة حدثت منه رتبة ثامنة وهي العشق وسببه الطمع **وقد** قال المأمون

اول العشق مزاح وولع ثم يزداد اذا زاد الطمع
كل من يهوى وان غالت به رتبة المملوك لمن يهوى تبع

وهذه الرتبة هي آخر الرتب المحدودة وليس لما جاوزها رتبة مقدرة ولا حالة محدودة لانها قد تؤول الى ممازجة النفوس وان تميزت ذواتها وتفضي الى مخالطة الارواح وان تفارقت اجسادها فهذه حال لا يمكن حصر غايتها ولا الوقوف عند نهايتها **وقد** قال الكندي الصديق انسان هو انت الا انه غيرك ومثل هذا القول يحكى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه في عمر حين اقطع طلحة بن عبيد الله ارضا وكتب له بها كتابا واشهد فيه اناسا منهم عمر فاتى طلحة بكتابه الى عمر ليختمه فامتنع عليه فرجع طلحة مغضبا الى ابي بكر وقال والله ما ادري انت الخليفة ام عمر فقال بل عمر لكنه انا واما المكتسبة بالقصد فلا بد لها من داع يدعو اليها وباعث عليها وذلك من وجهين رغبة وفاقة فاما الرغبة فهو ان تظهر من الانسان فضايل تبعث على الخائه وتتوسم بجميل يدعو الى اصطفائه وهذه الحالة اقوى

من

من التي بعدها لظهور الصفات المطلوبة من غير تكلف لطلبها فانما يخاف عليها من الاغترار بالتصنع لها فليس كل من اظهر الخير كان من اهله ولا كل من تخلق بالحسنى كان في طبعه والمتكلف للشيء مناف له الا ان يدوم عليه مستحسنا له في العقل او متدينا به في الشرع فيصير متطبعا به لا مطبوعا عليه لانه قد تقدم من قول الحكماء ليس في الطبع ان يكون ما ليس في الطبع ثم اقول في المتعذر ان تكون اخلاق الفاضل كاملة بالطبع واما الاغلب ان يكون بعض فضايله بالطبع وبعضها بالتطبع الجاري بالعادة مجرى الطبع حتى يصير ما تطبع به في العادة اغلب عليه مما كان مطبوعا عليه اذا خالف العادة ولذلك قيل العادة طبع ثان **وقد** قال ابن الرومي اعلم بان الناس من طينة يصدق في الثلب لها الثالب لولا علاج الناس اخلاقهم اذا لفاح الحمأ اللازب واما الفاقة فهو ان يفتقر الانسان لوحشة انفراده ومهانة وحدته الى اصطفاء من يأنس بمؤاخاته ويثق بنصرته وموالاته **وقد** قالت الحكماء من لم يرغب في ثلاث بلي بست من لم يرغب في الاخوان بلي بالعداوة والخذلان ومن لم يرغب في السلامة بلي بالشدايد والامتهان ومن لم يرغب في المعروف بلي بالندامة والخسران ولعمري ان اخوان الصدق من انفس الذخاير وافضل العدد لانهم شفاء النفوس واولياء النوايب **وقد** قالت الحكماء رب صديق اود من شفيق **وقيل** لمعاوية اي الناس احب اليك قال صديق يحببني الى الناس **وقال الشاعر**

مودة من يحبك مخلصا خير من الرحم القريب الكاشح

وقال آخر

يخونك ذو القربى مرارا وربما وفى لك عند العهد من لا تناسبه

فاذا عزم على اصطفاء الاخوان سبر احوالهم قبل اخائهم وكشف عن اخلاقهم قبل اصطفائهم لما تقدم من قول الحكماء اسبر تخير ولا تبعثه الوحدة على الاقدام قبل الخبرة ولا حسن الظن على الاغترار بالتصنع فان الملق مصايد العقول والنفاق تدليس الفطن وهما سجية المتصنع وليس فيمن يلون النفاق والملق بعض سجاياه خير يرجى ولا صلاح يؤمل

انظر قول الحكماء من لم يرغب في ثلاث بلي بست

Copyright © King Saud University